التفسير الصوتي البلاغي للقرآن الكريم

Rhetorical audio interpretation of the Holy Quran

د. عبدالله علي عباس الحديدي
أستاذ مساعد
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

Dr .Abdullah Ali Abbas Al Hadidi
Assistant professor
University of Mosul – College of Education for Human Sciences –Department of Quran and lslamic Education

abdullaali177@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الصوت القرآني– القوة التعبيرية – الذائقة الأدبية

Keyword: Quranic audio –exprassive power – literary taste

الملخص

تهتم الدراسة بعلاقة الصوت بالمعنى تناسباً وتناغماً من خلال الاعتماد على بعض المعايير اللغوية والسياقية دون الاكتفاء بالتذوق الأدبي الذي يُمثل التجربة والخبرة الشخصية للباحث فهي دراسة تتعهد الموضوع بغض النظر عن الذات والمؤثرات التي تشكل رؤيتها للنص القرآني حد الخروج عن دلالات اللغة والسياق لذا يتعهد الباحث بالتزام الجانب العلمي من جهة مع احترام التذوق الأدبي فهي دراسة علمية ذوقية تقوم على دعائم من أقوال المفسرين والدارسين في الصوت القرآني فضلاً عما قدمه الباحث من دراسات مهدت لهذه الدراسة .

Abstract

The study is concerned with the relationship of phonetic to meaning proportionally and harmoniously depending on some linguistic and contextual criteria without being satisfied with literary taste, which represents the experience and personal experience of the researcher, it is a study that undertakes the subject regardless of the self and influences that constitute its vision of the Qur'anic text to the extent of departing from the connotations of language and context, so the researcher undertakes to commit to the practical side on the one hand while respecting literary taste, it is a scientific study of taste based on the pillars of the sayings of interpreters and scholars in the Qur'anic voice as well as what the researcher has provided From studies that paved the way for this study.

المقدمة

إن فكرة الدراسة هي ضمن محور القرآن الكريم وعلومه جامعة ما بين الإعجاز القرآني والعمل الموضوعي لهذا الإعجاز الذي يختصّ بطبيعة القراءات القرآنية الممثلة لكيفيات النطق المتعددة بأسانيدها الصحيحة إلى النبي صلى الله علية وسلم فالغاية هو الوقوف على الصور الموحاة لصوت القراءة بحثاً عن العجائب والأسرار القرآنية التي تقف ورآئها المعبر عنها بالإعجاز .فالدراسة تبحث عن وجود إشكالات معرفية حقيقية في علم القراءات لا يوجد لها تفسير بالاقتصار على التحليل الصوتي المحض كالذي تعتمده الدراسات الصوتية في النصوص اللغوية الأخرى خارج النصّ القرآني .وتذهب لإحياء جانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني الماثل بطرق الأداء المتميزة التي اختصّ بها القرآن مما يمكن أن نسميه بالإعجاز الصوتي في القراءة القرآنية لنخرج بنظرة علمية متكاملة متفق عليها من خلال النتائج النهائية للدراسة في الحكم على العلاقة ما بين الصوت والمعنى القرآني . كما ستحدد حجم الخصوصية التي امتازت به القراءات القرآنية حتى لا يُذهب بعيداً في التحليلات التي لا تستند إلى سند علمي قويم وذلك بالرجوع إلى الدراسات الصوتية أو البيانية في تحليلها للنصوص القرآنية وما هي عليه من قواعد وأدوات في التحليل التي تكون الأكثر حيادية من غيرها في تعاطيها مع العينة المحددة للتحليل والتعليل في هذين العلمين . وترى الدراسة من خلال طرحها بالذهاب بالتفسير القرآني إلى ما هو أبعد من الاقتصار على اللغة المكتوبة والاستعانة باللغة المنطوقة للقرآن المجسّدة بعلم القراءات القرآنية استعانة قد نتمكن بها من الوصول إلى تحديد المعاني الأقرب إلى روح الدلالة القرآنية أو حتى المعاني الاضافية دون الأولى منها .

المبحث الاول

الصوت في بلاغة القرآن وأطر الإدراك المعرفي

المطلب الاول

التفسير الصوتي وأطر التذوق وموضوعيته

"إن التذوق الأدبي للقرآن يقوم على الموازنة بين الذات والموضوع فللذات حقها في جانب الاستغراق في النص والشعور به بحيث يصل إلى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص وينبذ المعاني الظاهرة وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح إن الموازنة بين الذات والموضوع هي التي تستقر بصاحبها في ميدان التذوق الأدبي وبقدر التوازن يكون الاستقرار والثبات والسلامة فإن طغت الذات على الموضوع خرج عن نطاقه إلى نطاق التفسير الصوفي الذي يعتمد على الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق وجنح بصاحبه إلى الخيال الجارف الذي لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول راسخة ... وإن طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق الأدبي إلى نطاق التفسير العلمي البحت وضاقت جوانب جذبات النفس وارتباطها بالنص وأصبح المفسر والنص كتلتين منفصلتين لا تمازج بينهما ولا تجاذب وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آلة لا تفاعل بينها وبين معمولها [١] إن تلك الطبقية في عملية الاستماع تكشف عن حساسية ودقة وظيفة المستمع الذي لا يعني افلاته لبعض المسموع سوى إضاعته لبعض فرص الفهم الصحيح " [٢] وليس المراد مجرد التخيل المعبر عنه بالإدراك المخالف للإدراك المجزوم به فمن جزم بصحة شيء أو واقعيته عن طريق اليقين أو الجهل المركب أو التقليد أو الظن فإنه قد يدرك الجانب المخالف لهذا المجزوم به رغم إنه إدراك ضعيف جداً وهذا ما يسمى التخيل في المصطلحات المنطقية وهذه المرتبة هي أدنى مراتب إدراك الانسان [٣] بل هو إدراكه من خلال احتمالية اللغة والسياق إذ المخيلة بلا تلك القيد تشوش وتربك جدية الادراك العلمي " إن الإدراك ليس عملية بسيطة بل عملية معقدة إذ تتدخل الذاكرة والمخيلة وإدراك العلاقات في تأويل ما ندرك " [٤] بل العوامل

---

(١) نقلاً عن الشبكة العنكبوتية وينظر: بهذا المعنى سيد قطب، في ظلال القرآن، ط١٠، دار الشروق (القاهرة : د . ت) : ٢ / ١٠٤٠ .

(٢) نواري سعودي أبو زيد، محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ط١، بيت الحكمة (الجزائر: ٢٠١٢م) : ٦٦ -٦٧.

(٣) مصطفى إبراهيم الزلمي، المنطق القانوني في التصورات، ط٤ (اربيل: ٢٠٠٩م) : ٣٢ .

(٤) أحمد عزت راجح، اصول علم النفس المكتب، المصري الحديث : ١٩٧.

المحيطة توهم الواهم إذ " مما يسهم في تأويل المدركات ما يحيط بالشيء المدرك من ملابسات وما يقوم بينه وبين غيره من علاقات ذلك أن نفس الجزء يختلف معناه باختلاف الكل الذي يحتويه فنفس الكلمة يختلف باختلاف الجملة التي تحتويها . . . فالتأويل يتوقف على الموقف الكلي الذي يوجد فيه الشيء لأن الجزء لا يمكن فهمه إلا في صلته بالكل الذي يضمه ويشتمل عليه " [١] فيحذر المتذوق من العوامل المؤثرة في الإدراك " وها هي عوامل ذاتية أخرى الحالة الجسمية للفرد . . . الحالة المزاجية . . . التوقع والتهيوء النفسي . . . العواطف والانحيازات والميول . . . أثر الكبت . . . أثر المعتقدات . . . أثر القيم . . . مما تقدم يتضح لنا أننا لا ندرك العالم الخارجي بحواسنا فقط بل بعقولنا وشخصياتنا أيضاً " [٢] ليتجاوز خداع العقل تأثراً بتلك العوامل إن ذلك " الخداع سوء تأويل للواقع هو إدراك حسي خاطيء . . . أما الهلاوس فمدركات حسية خاطئة لا تنشأ عن موضوعات واقعية في العلم الخارجي كما هي الحال في الخداعات بل عن نصوع الأخيلة والصور الذهنية وسيطرتها على الفرد إنها أخيلة يحسها الإنسان وقائع ويستجيب لها كما لو كانت وقائع بالفعل وبعبارة أخرى هي اختلاقات ذهنية " [٣]." والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى هو أن الصور يدركها الحس الظاهر والباطن معاً لكن الحس الظاهر يدركها أولاً ثم يؤديها إلى الحس الباطن . . . أما المعنى فيدركه الحس الباطن من المحسوس الخارجي من غير أن يدركه الحس مثل إدراك الشاة العداوة في الذئب وهو المعنى الموجب لخوفها " [٤] يقول علماء النفس إن أخطاء الإدراك الحسي راجعة إلى الخطأ في تفسير الإحساس أي أنها راجعة في الواقع إلى خطأ العقل [٥].

(١) أحمد عزت راجح، اصول علم النفس المكتب، المصري الحديث: ١٩٧.

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٢.

(٣) المصدر نفسه :٢٠٤ – ٢٠٦.

(٤) عثمان نجاتي، الإدراك الحسي عند ابن سينا بحث في علم النفس عند العرب، ط٣، دار الشروق (القاهرة: ١٩٨٠م) : ٣٥ .

(٥) عثمان نجاتي، الإدراك الحسي عند ابن سينا بحث في علم النفس عند العرب : ١٦٨ .

المطلب الثاني

التذوق والقوة التعبيرية في النص القرآني

" التذوق للقران الكريم حركة نفسية وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان له رداً ولا يستطيع له منعاً بل لا بد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى ونقصد بهذا معنى دقيقاً يشعر به كل من يواجه النصوص القرآنية ابتداء وينسكب في حسه بمجرد الاستماع لهذا القران وقد يستطيع أن يصف هذه القيم الشعورية بكلمات وقد لا يستطيع ويرجع هذا إلى الصلة بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية فقد تجتاح الإنسان مشاعر لا يجد في الكلمات كلها ما يستطيع التعبير عنها " [١] بما " أن القول بالقيمة التعبيرية للصوت يعني أن الأصوات مدعوة إلى تقديم بعض القيم الدلالية دون أخرى انطلاقاً من خصائصها الذاتية إنها علامات متعددة الدلالة . . . كون الكلام المنجز والشعري منه على وجه الخصوص يسعى إلى محاربة الصدفة والتقليل من الاعتباط بكيفية واعية أو غير واعية وذلك بالزيادة في الترددات الأصوات الملائمة للمضمون " [٢] ، فليست ألفاظ القرآن مجموعة من الحروف تدل على المعنى فحسب بل هي ينبوع يفيض بالصور والأحاسيس والألوان وليست المعاني في القرآن مجردات اعتبارية يدركها العقل وإنما هي صورة حية تمر بخيال القاريء أو السامع ويلمسها إحساسه وتكاد تراها عينه " [٣] فسننتبه إلى أن " هناك أربعة من الصور تنشأ في نفس السامع أو القاريء بسبب من الألفاظ :

١- صور لفظية ناشئة عن الإدراك الحسي (السمعي أو البصري) عند السماع أو القراءة هي في الغالب ناشئة عن جرس الكلم وموسيقاه .

٢- صور معنوية صريحة وهي الصور الذهنية التي بعثها في النفس معاني الألفاظ والعبارات وهي وسيلة فاعلة للتأثير في الفكر والوجدان .

٣- صور معنوية ضمنية مجموعة من الصور الذهنية التي تستنبط استنباطاً .

صور لا هي ضمنية ولا هي صريحة وانما هي معنوية ترابطية تتوارد على الذهن وتسلك

---

(١) نقلاً عن الشبكة العنكبوتية وبهذا المعنى سيد قطب، في ظلال القرآن : ٢ / ٨٢٢ .

(٢) محمد الماكري، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، ط١، المركز الثقافي العربي (بيروت : ١٩٩١م): ١٢٩ - ١٣٠..

(٣) البوطي، من روائع القرآن : ١٦٩ وينظر: عبدالله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ط١، دار الغوثاني للدراسات القرآنية (دمشق : ٢٠٠٦م) : ٣٧٣ .

سبيلها من منطقة شبه الشعور إلى منطقة الشعور تبعاً لقانون تداعي المعاني " [١]. والدور الفاعل سيكون للمتخيل المبدع في اقتناص الخيال البعيد فالتعبير الدقيق . . . يقول إبراهيم شمس الدين : " إن الخيال المبدع ليس ثمرة عوامل وجدانية وقوى ورغبات مكبوتة في العقل الباطن بقدر ما هو تنظيم عقلي يقيمه الذكاء إنه قدرة العبقري على اكتشاف علاقات جديدة او اختراع علاقات بين عناصر الكون يعجز الأنسان العادي عن اكتشافها "[٢]وما القرآن الا كون مقروء كما يقول بلاشير عن الخيال " هو ملكة تغيير الصور والانتقال من الصورة الحاضرة أمامنا إلى الأخرى الغائبة إنه انفتاح وتجدد وانطلاق نحو آفاق جديدة لذلك ليس الخيال استعادة لصور حسية سبق أن أدركناها بل هو تجاوز للإدرك الحسي " [٣] .

(١) عبدالله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية:٣٧٧ – ٣٧٨ . وللمزيد ينظر: صلاح الدين عبدالتواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم : ٢٨ – ٢٩ .

(٢) إبراهيم شمس الدين، مرجع الطلاب في الإنشاء الفلسفي، دار الكتب العلمية : ٢٠٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٥ .

المبحث الثاني

التقعيد النظري والتطبيق المنهجي حول إيحائية الأحرف العربية والتراكيب القرآنية

المطلب الاول

التقعيد النظري عند المعاصرين

يقول السعدي فيما يشمل تفسير الدلالة النفسية من خلال الصوت القرآني :" وكل الدلائل العقلية من الآيات الآفاقية والنفسية والاعتبارات الشرعية والمناسبات والعلل والأحكام والحكم داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده "[١] ومنها " الدلالة غير الصريحة على المعنى : وهي الدلالة غير النصية والتي لا يطابق فيها الحديث ألفاظ الآية لكنه يفيد في بيان المعنى وترجيحه على العموم والإجمال "[٢] أو ما يدعى بملح التفسير " ملح التفسير هو ما ينقدح في ذهن المفسر من معنى يستحسنه للآية وليس فيه دليل صريح يعين المعنى الذي ذكره فيذكره فيستحسنه الناس " [٣] ومن الأمثلة قوله (وفجرنا الارض عيونا) التفجير للعيون أوقع على الأرض فأفاد أن الأرض صارت كلها عيوناً ولو أجري اللفظ على ظاهره فقيل (وفجرنا عيون الارض) لم يفد ذلك وكان المفهوم منه أن الماء قد فار من عيون متفرقة في الأرض [٤] والذي يبدو أن الأمر يتجاوز البلاغة في تأدية المعنى إلى البلاغة في تأدية الصوت أيضاً انسجاماً مع التكثّر من العيون هناك تزيد صوتي يُمثله المد من (عيونا) لا يُتأتي من العبارة المقترحة (عيون) وهناك الفرائد التي تومىء الفريدة منها إلى تفرد موضعها في القرآن ... ولا يمكن للفظة أخرى لها نظير في القرآن من مادتها وصيغتها أن يستنبط منه شيء كان قد استنبط منها فدل ذلك على أن لكل الفرائد ايحاءات وإشارات عديدة يلحظها المتأمل والمدقق وهذه الإشارات هي ما يطلق عليها البلاغيون المعاني الثواني أو مستتبعات

---

(١) تيسير الكريم الرحمن : ٢ / ٦٠٦ ومختصر الفتاوى المصرية : ٥٣١.نقلا عن نايف بن سعيد الزهراني، عن الاستدلال في التفسير دراسة في منهج ابن جرير الطبري في الاستدلال على المعاني في التفسير، ط٢، مركز تفسير للدراسات القرانية (الرياض : ٢٠١٥ م) : ١١٠ .

(٢) نايف بن سعيد الزهراني، الاستدلال في التفسير دراسة في منهج ابن جرير الطبري في الاستدلال على المعاني في التفسير : ٢٥٤ .

(٣) حمد بن إبراهيم العثمان، التحبير لقواعد التفسير، ط٥، (د . ت: ٢٠١٨م) : ١٤١ .

(٤) عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن، ط ١، عالم الكتب الحديث (عمان : ٢٠٠٧ م) : ٦٠.

التراكيب أو ما يطلق عليه الأصوليون فحوى الدلالة ومفهومها [١] وقد سبقها سجية التناسب الصوتي يقول نعيم علوية " الملاءمة بين الدال والمدلول قد يراعى الدال في أصله وعند تكونه ما لحظه أصحابه مما يدلون به عليه فتتناسب أصوات الدال بوحداتها وتركيبها مع أصوات المدلول او بعض صفاته فالأصوات الفخمة والضاجة تواتي المواقف القوية والأجسام القوية الضخمة والمعاني الناعمة اللينة ترتدي حللها من الأصوات اللينة الناعمة والمعاني الصافرة تواكبها الحروف الصافرة إلى ما هنالك " [٢] وهي في الأوج والسمت العالي في القرآن الكريم فإذا كانت البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال من مناسبة وبيئة ونفسية [٣] نجدها ماثلة في الصوت القرآني من حيث المراعاة للمخاطب ونوع الخطاب إذن هناك بلاغة صوتية في أداء المعنى القرآني كما هناك بلاغة لغوية في تأدية المعنى من خلال النظم المعجز يقول حفني محمد شرف : " إن نظم القران قائم على موسيقى وعلى الروح المستشفة من هذا النظم التي تخاطب الروح وألفاظه ليست ألفاظاً فقط بل هي حياة تضطر فيها زيادة على صوت النفس الطبيعي في تركيب اللغة العربية وصوت الفكر أو العقل فوق ذلك إلى صوت الحس في الألفاظ والمعاني الممثلة " [٤] وتقول ابتسام أحمد حمدان عن علاقة النفس بموسيقى الشعر كمثال يقاربه " ولما كان الجهاز الحركي يعتمد على كلية ذات بنية تتحرك وفق حركة إيقاعية فإن الميل نحو تنظيم الحركة إيقاعياً أمر حتمي لا جدال فيه فجوهر النفس لما كان مجانساً ومشاكلاً للأعداد التأليفية وكانت نغمات ألحان الموسيقى موزونة وأزمان نقراتها وسكونات ما بينها متناسبة استلذت بها الطباع وفرحت بها الأرواح وسرت بها النفوس لما بينها من المشاكلة والتناسب والمجانسة " [٥] ويستنتج أن النفس تتساب مع بلاغة الصوت وتنسجم معه وللقرآن موسيقاه الخاصة كما أشار حفني محمد شرف في السياق السابق .

---

(١) عبدالله عبد الغني سرحان، الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، ط١، مركز التدبر (الرياض : ٢٠١٢ م) : ٥٥ – ٥٦ .

(٢) نعيم علوية، بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات (بيروت : ١٩٨٦ م) : ١٣ – ١٤ .

(٣) فارس علي العامر، تهذيب البلاغة الواضحة، ط١، أنوار الهدى (إيران : ٢٠٠١م) : ١٣.

(٤) حفني محمد شرف، إعجاز القرآن البياني، اللجنة العامة للقرآن والسنة : ٣٥١ .

(٥) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ط١، دار القلم العربي (حلب : ١٩٩٧م) : ١٠٨

المطلب الثاني

التقعيد المنهجي حول ايحائية الاحرف العربية والتراكيب القرآنية

يقول صبحي الصالح : " أما الذي نريد الان بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية ...فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين وكل حرف له ظل وإشعاع إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع ... ومما وقع في آخر الكلمة النضح والنضخ فالنضخ للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضح قال سبحانه (فيهما عينان نضاختان) فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظتها لما هو أقوى منه " [١] ثم يعطي رأيه فيقول : " ان لكل لفظ نشأة وميلاداً وأن في كل لفظ اشتقاقاً وتوليداً وأن المناسبة الذاتية لا تلتمس إلا في اللفظ عند نشأته الاولى وأن هذه المناسبة فيما جدده الاستعمال من مدلولات ذاك اللفظ إنما تحمل حملاً على المعنى الأصل الأقدم ولا يخفى حينئذ على الباحث اللغوي أن المناسبة الاخيرة لم تنشأ مع اللفظ ولم تحضر ميلاده بل اكتسبت ايحاءها ودلالتها من كثرة الاستعمال " [٢] كما " تقترن شواهد إيجاز القصر في القرآن بالايحاء بالمعنى الذي يخضع للتوالد الناتج عن احتواء الألفاظ لكثير من المعاني ومن ذلك قوله تعالى (مما كانا فيه) ... يجمل ما كان فيه آدم وزوجه في الجنة من النعيم المقيم والأزهار والثمار والرياض والآرائك والاستبرق والرياحين والزروع مما كثرت بوصفه الآيات القرآنية فلم يفصل سبحانه ذلك كله وإنما أجمله بقوله (مما كانا فيه) وهذا أبلغ من إحصاء مفردات النعيم حتى لا يكون محصوراً محدوداً فقد أراد سبحانه أن يبين أن هذا النعيم يدرك بالتصور والتدبر والتفكر بعيداً عن الحد والحصر " [٣] إذن هناك معان تستحصل باللزوم ومثيلها الإيحاء الذي تفضي به الكلمة فكلمة اثاقلتم من سورة التوبة آية ٣٨ غير فصيحة في منطق البلاغيين لكنها الفصاحة ذاتها في منطق التصوير الفني والتعبير الرفيع فنظام حروف الكلمة وصور أدائها توحي بالمعنى قبل التعرف عليه إذ أننا نحس أن البطء في تلفظ هذه الكلمة يوحي بالحركة البطيئة الصادرة عن المتثاقل [٤] لكن المسألة كما نلحظ في هذه الكلمة تتعلق بذوق القاريء يقول شعبان محمد إسماعيل : " إعلم

---

(١) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين (بيروت : ٢٠٠٩ م): ١٤٢- ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٦٩ .

(٣) مختار عطية، الايجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، دار المعرفة الجامعية: ٢٠٧.

(٤) علي جميل سلوم وحسن محمد نور الدين، الدليل الى البلاغة وعروض الخليل، ط١، دار العلوم العربية (بيروت : ١٩٩٠ م) : ٢١.

أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا يمكن إقامة الدلالة عليه ...وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ... فإلى هؤلاء ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض " [١] كما أن التصوير من خلال المجاز هو استثارة للحواس بواسطة الكلمات وعن طريق الحواس يمكن بسرعة إثارة ذهن القاريء وعواطفه[٢]، فهذا محمد حسين الرنتاوي يسترسل ببيان احكام التلاوة من خلال التراكيب القرآنية فيقول" تعريف الإظهار انه لا توجد فيه غنة وهي التي تستغرق مدة زمنية في التلاوة وهذا يعني ان الكلمتين اللتين حدث بينهما حكم الإظهار ملتصقتان في المعنى التصاقاً تاماً ولا يوجد أي فاصل بينهما . . . قلنا إن معنى الإظهار هو البيان والوضوح وهو يأتي في النظم القرآني ليشير إلى أن هناك أمراً يراد إظهاره ويأتي أيضاً ليزيد المعنى العام للنص القرآني وضوحاً وبياناً . . . إنه يأتي بدون غنة أي بدون مسافة أو مدة زمنية أي انه يأتي بسرعة فائقة مما يفسر أن هذه الكلمة والكلمة التي تليها ملتصقتان تماما ولا يوجد أي فاصل بينهما . . . إن الإظهار ناسب ظهور المعنى وجعله ظاهراً للعيان قريباً من الأذهان . . . اظهارات متوالية لاظهار المعنى وبيانه . . . لا توجد مسافة او غنة فهو امر قطعي " [٣] ثم يذهب إلى إن " الجملة القرآنية التي تحتوي على الإدغام تحمل في طياتها معنى الترابط والاقتران ثم إن الإدغام بغنة يتضمن مدة زمنية تساعد في إبراز الدلالة من حيث وجود امتداد أو طول أو بطء أو اتساع أو غير ذلك وتوحي ظروف التلاوة في الإدغام بغنة أيضاً إلى معنى الاستغراق . . . أما في حالة الإدغام بغير غنة فإن هذا يساعد في إبراز الدلالة من حيث إنه لا توجد مدة زمنية ومن ثم فإن الامر قطعي ولا يتطلب زمنا وتعتبر الكلمتان ملتصقتين التصاقاً تاماً وبدون أي فاصل بينهما . . . إن وجود الغنة في الإدغام يوحي بمعنى الاستمرارية في الشيء والاستغراق فيه لمدة طويلة . . . الإدغام الذي يوحي بادخال الشيء في الشيء . . . فهذه الإدغامات المتتالية تدخل أجزاء الاية في بعضها لتحدث نوعاً من تداخل المعنى . . . وعدم وجود الغنة في (فويل للقاسية قلوبهم) يوحي بمعنى الالتصاق واللزوم . . . وللادغام بلا غنة وظيفة دلالية تتمثل في اظهار شدة التمازج والالتصاق في

---

(١) شعبان محمد إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، دار الانصار : ٢٨٤ .

(٢) ميدلتون موري واخرون، اللغة الفنية، ترجمة محمد حسن عبدالله، دار المعارف (القاهرة : د . ت) : ٧٢.

(٣) محمد حسين الرنتاوي، ذوق الحلاوة ببيان علاقة المعنى باعجاز التلاوة بيت الافكار الدولية، الرياض : ١٠٤ –١٠٩.

الدلالة بين الكلمتين استجابة للتناغم الصوتي فيهما "[١] ويقول أيضاً "وإذا تدبرنا هذه الأمثلة بقصد الإبانة عن أثر الإخفاء في كشف الدلالة المقصودة للنص القرآني وجدنا قرآناً عجباً فوجود الغنة وهي التي تستغرق مدة زمنية في التلاوة وهذا يعني أن المقام يتطلب مسافة وزمناً ولا يتم على وجه السرعة ثم الآيات التي تحمل في تركيبها حكم الإخفاء توحي أيضاً بمعنى الخفاء والستر . . . إن وجود الغنة في الاخفاء وهي التي تستغرق مدة زمنية في التلاوة وهذا يعني أن المقام يوحي بمعنى الاستمرارية . . . وظروف تلاوة الغنة في الاخفاء كأنّ فيها حثاً على النظر المتمهل والفكر المتامل فاتسعت زمناً لتشمل طول المدة التي ينبغي أن يقفها العاقل . . . فمعنى الإخفاء الستر والتغطية " [٢] ويرى سهاد جاسم عباس في المد بعداً دلالياً في تفسير سورة يوسف فيقول " وفي وقوع المد في الف لولا تركيز صوتي على هذا الحرف وهو تركيز يؤدي بدوره الى تركيز على معنى هذا الحرف ودوره في السياق فوجود هذا الحرف يؤدي الى ان يكون المعنى ان جوابها منفي قطعا وجاءت لولا بعده لينتفي عن صاحبه وقد نص المفسرون انه لم يحصل منه همّ قط بدليل وجود لولا فقد ذكر أبو حيان إنه لم يقع منه هم أصلا بل هو منفي عنه لوجود البرهان " [٣] وتذهب أشواق محمد إسماعيل إلى أن الراء أو غيره حال تكراره يفيد الاستمرارية والوحدة ويقوي من دلالة المعنى باستمرارية وتأثيرية لما يعرف في اللغة من دلالات الراء النغم والايقاع واستمرار التأثير في المعنى الذي قام به[٤] والراء صوت تكراري . . . لأن السور فيها نسق تكرار[٥].

كما تكلم محمد حسين الرنتاوي عن القلقلة قائلاً : " فهذا الصويت تضيف اليه مدة زمنية في نصف صوت فضلاً عن خاصيتها الانفجارية . . . ومعنى القلقلة الذي هو شدة اضطراب الشيء في تحركه بخفة وسرعة . . . ثم إن النبر الذي في صوت الباء عند القلقلة يؤدي إلى زيادة في مبنى الكلمة وهذا يستدعي زيادة في معناها . . . أعطت معنى واسعاً . . . فتأمل كيف أن القلقلة بضخامة جرسها وقوة صوتها توحي بالاتساع بالانفجار بالاضطراب وقلة

---

(١) محمد حسين الرنتاوي، ذوق الحلاوة ببيان علاقة المعنى باعجاز التلاوة بيت الافكار الدولية، الرياض: ١٢٥-١٣٦.

(٢) المصدر نفسه : ١٣٩ – ١٤٩ .

(٣) سهاد جاسم عباس، الاثر البياني للمد الجائز في سورة يوسف،ط١،مركز البحوث والدراسات الاسلامية (بغداد : ٢٠١٠م) : ١٢٦ .

(٤) أشواق محمد اسماعيل، لسانيات النص القراني بين التنظير والتطبيق، ط١، عالم الكتب الحديث (اربد : ٢٠١٣م) : ٢٤ .

(٥) المصدر نفسه : ١٠٨ .

الثبوت في المكان بالحركة بالجرس القوي دلالة على تضخيم امر ما " [١] كما " أن للتفخيم والترقيق أثراً في توضيح معاني الكلمات القرآنية والآيات الواردة بها . . . إن ورود حرف مفخم في كلمة أو سياق يشير إلى تفخيم وتعظيم شأن هذه الكلمة ويتناسب مع شدة الصورة والفكرة ولفظ الجلالة حين يأتي مفخماً يشير إلى عظمته ويدل على مهابة وجلال في السياق ومجيء حرف الراء المرقق في كلمة او في سياق يوحي وذلك حسب الحالة بجمال المشهد ورقته وعذوبته وأحياناً تشير إلى هوان وركاكة حال المعنى في الصورة أو الفكرة أما الترقيق في لفظ الجلالة فإنه يُشير إلى رحمة أو منحة أو تفضل أو إكرام " [٢].

(١) ينظر : محمد حسين الرنتاوي، ذوق الحلاوة ببيان علاقة المعنى باعجاز التلاوة بيت الافكار الدولية الرياض : ١٩٨ – ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه :٢٤٩ – ٢٥٠.

الخاتمة

اما نتائج البحث فكانت كالاتي :

١- ترى الدراسة أن للصوت القرآني جانب تأثيري ينسجم مع المتلقي في اغلب السياقات القرآنية مما دعت الدراسة الى شرعنة القول بتسمية التفسير الصوتي بالتفسير البلاغي أيضاً .

٢- وجدت الدراسة أن للقران موسيقاه كما للنفس مؤثرات تسوقها الى المشاكلة وهي في القران تصل إلى الأوج في الانسجام لا تواكبه أوزان الشعر .

٣- كما ترى الدراسة أن الدلالة الصوتية قد تكون دلالة غير مباشرة لكنها مما يحتمله المعنى ويستحسنه المفسر .

٤- وجدت الدراسة أن لأحكام التلاوة تلوينات صوتية تنبعث معبرة عما في المعنى من لوازم ثانوية من معان أخرى .

٥- وجدت الدراسة حسبما يراه الدارسون أن لأحكام التلاوة تخريجات دلالية في تصويتاتها الخاصة من حيث الطول والقصر والفخامة والرقة .

ثبت المصادر

- ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للايقاع البلاغي في العصر العباسي، ط١، دار القلم العربي (حلب : ١٩٩٧م) .
- إبراهيم شمس الدين، مرجع الطلاب في الانشاء الفلسفي، دار الكتب العلمية .
- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث .
- أشواق محمد إسماعيل، لسانيات النص القرآني بين التنظير والتطبيق، ط١، عالم الكتب الحديث (اربد : ٢٠١٣م) .
- محمد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي .
- عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مكتبة العبيكان .
- حفني محمد شرف، إعجاز القران البياني، اللجنة العامة للقران والسنة .
- حمد بن إبراهيم العثمان، التحبير لقواعد التفسير، ط٥، (د . ت : ٢٠١٨ م) .
- سهاد جاسم عباس، الاثر البياني للمد الجائز في سورة يوسف،ط١،مركز البحوث والدراسات الاسلامية (بغداد : ٢٠١٠م) .
- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط١٠،دار الشروق (القاهرة : د . ت) .
- شعبان محمد إسماعيل، المدخل لدراسة القران والسنة والعلوم الاسلامية، دار الانصار .
- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين (بيروت : ٢٠٠٩ م) .
- صلاح الدين عبد التواب الصورة الادبية في القران الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر .
- عبدالله عبد الغني سرحان، الاسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، ط١، مركز التدبر (الرياض : ٢٠١٢ م) .
- عبدالله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ط١، دار الغوثاني للدراسات القرآنية (دمشق : ٢٠٠٦م) .
- عثمان نجاتي الادراك الحسي عند ابن سينا بحث في علم النفس عند العرب ط٣ دار الشروق (القاهرة : ١٩٨٠م) .
- علي جميل سلوم وحسن محمد نور الدين، الدليل الى البلاغة وعروض الخليل، ط١، دار العلوم العربية (بيروت : ١٩٩٠ م) .
- عمار ساسي، المدخل الى النحو والبلاغة في اعجاز القران، ط ١، عالم الكتب الحديث (عمان : ٢٠٠٧ م) .
- فارس علي العامر، تهذيب البلاغة الواضحة، ط١، انوار الهدى (ايران : ٢٠٠١م) .

- محمد الماكري، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، ط١، المركز الثقافي العربي (بيروت : ١٩٩١م) .
- محمد حسين الرنتاوي، ذوق الحلاوة ببيان علاقة المعنى بإعجاز التلاوة بيت الافكار الدولية الرياض .
- مختار عطية الايجاز في كلام العرب ونص الاعجاز، دار المعرفة الجامعية .
- محمد بن علي البعلي مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تحقيق عبدالمجيد سليم ومحمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية .
- مصطفى ابراهيم الزلمي، المنطق القانوني في التصورات، ط٤ (اربيل: ٢٠٠٩م) .
- ميدلتون موري واخرون، اللغة الفنية ترجمة محمد حسن عبدالله، دار المعارف (القاهرة : د . ت) .
- نايف بن سعيد الزهراني، الاستدلال في التفسير دراسة في منهج ابن جرير الطبري في الاستدلال على المعاني في التفسير ط٢، مركز تفسير للدراسات القرآنية (الرياض : ٢٠١٥ م) .
- نعيم علوية، بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات (بيروت : ١٩٨٦ م).
- نواري سعودي أبو زيد، محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ط١، بيت الحكمة (الجزائر : ٢٠١٢م) .